SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.21 NO. 1 2022
DOI: 10.51984/JOHS.V21I1.1731

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

دور الإمبراطور دقلديانوس وقسطنطين الكبير في قيام الدولة البيزنطية 284-337م

هبة عبدالرازق عوض الزوكي

قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة درنة، ليبيا

الكلمات المفتاحية:

بيزنطة
دقلديانوس
قسطنطين الكبير
المراحل الأولى
نشأة التاريخ

الملخص

من المعروف أن الإمبراطورية الرومانية بلغت الذروة في القرن الثاني الميلادي. لكنها واجهت في القرن الثالث عدة أزمات تمخض عنها ظهور الدولة البيزنطية أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وهي عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي, وإغارة القبائل الجرمانية والفرس علاوة على ضعف الديانة الوثنية، وما رافق ذلك من تدهور في النظم الاجتماعية والمؤسسات الثقافية، فقد أضعف ذلك الإمبراطورية وهددها وعرضها للدمار.

يمكن القول إن الإمبراطورية البيزنطية ولدت من رحم أزمة القرن الثالث، والتي جاءت نتيجة تراكم مشاكل طفت على السطح في ذلك القرن، الأمر الذي استلزم معه حدوث تغييرات وإصلاحات كانت بمثابة فترة انتقالية أدى تراكم التغييرات فيها إلى بداية عصر جديد في تاريخ الإنسانية.

وفي تلك الأوقات الصعبة التي مرت بالإمبراطورية الرومانية تولى العرش دقلديانوس الذي أنقذ الإمبراطورية من حافة الهاوية، و تمكن من اصلاح الاضطرابات التي كانت تعاني منها الإمبراطورية غير أن حكمه جنباً إلي جنب مع شريكه سرعان ما انهار لكن تلك الإصلاحات كانت حلولاً عملية لأوضاع حرجة تتطلب حلولاً سريعة ومؤقتة وكانت النتيجة جيدة في بعض الحالات فقد أعاد الأمن إلى أغلب أجزاء الإمبراطورية وحفظت الحدود لمدة قرن آخر من الزمن.

استطاع قسطنطين بعده استعادة النظام وتمتع بمكانة خاصة في التاريخ نظراً للأعمال التي قام بها، والتي كان لها أثر واضح في تغيير وجه التاريخ، وتحقيق الانتقال من العالم القديم الى عالم العصور الوسطى، حيث قام هذا الإمبراطور بخطوتين على جانب كبير من الأهمية: الأولى اعترافه رسمياً بالديانة المسيحية وأصبح أول لإمبراطور يعتنق المسيحية، والثانية نقله عاصمة الإمبراطورية من روما القديمة الى روما الجديدة (القسطنطينية) وأصبحت عاصمة جديدة للإمبراطورية الشرقية البيزنطية .

The role of Emperor Diocletian and Constantine the Great in the establishment of the Byzantine state 284-337 AD

Heba Abd alrazik Awad AL-zouki

History Department, College of Arts and Sciences University of Derna, Libya

Keywords:

Byzantium
Diocletian
Constantine the Great
the early stages
the emergence of history

ABSTRACT

It is known that the Roman Empire reached its peak in the second century AD. But in the third century, it faced several crises that resulted in the emergence of the Byzantine state or the Eastern Roman Empire, namely political and economic instability, the raiding of Germanic tribes and Persians, in addition to the weakness of the pagan religion, and the accompanying deterioration in social systems and cultural institutions, which weakened, threatened and exposed the empire. for destruction.

It can be said that the Byzantine Empire was born out of the crisis of the third century, which came as a result of the accumulation of problems that surfaced in that century, which necessitated changes and reforms that were a transitional period in which the accumulation of changes led to the beginning of a new era in human history.

*Corresponding author:
E-mail addresses: Sarroni2013@gmail.com

Article History : Received 11 February 2022 - Received in revised form 27 June 2022 - Accepted 30 June 2022

In those difficult times that the Roman Empire went through, Diocletian took the throne, who saved the empire from the brink of the abyss, and was able to fix the turmoil that the empire was suffering from, but his rule along with his partner soon collapsed, but those reforms were practical solutions to critical situations that require quick solutions Temporary, and the result was good in some cases. He restored security to most parts of the empire, and the borders were preserved for another century. After him, Constantine was able to restore order and enjoy a special place in history due to the actions he carried out, which had a clear impact in changing the face of history, and achieving the transition from the ancient world to the world of the Middle Ages, where this emperor took two steps of great importance: the first is his official recognition He became the first emperor to convert to Christianity, and the second he transferred the capital of the empire from ancient Rome to New Rome (Constantinople) and became the new capital of the Eastern Byzantine Empire.

المقدمة

يعد التاريخ البيزنطي مرحلة تحول هامة وحاسمة في تاريخ القارة الأوروبية خلال فترة العصور الوسطى، وتكمن أهمية موضوع البحث في أنه يلقي الضوء على بداية ونشأة تلك الفترة التي تمثل علامة فارقة ومفترقاً للطرق بين حقبتين، الأولى حقبة التاريخ القديم الممتدة في عمق التاريخ الإنساني عبر تاريخ الإغريق وحضارتهم الهللينية، ووصولاً إلى العصر الروماني، والثانية حقبة العصور الحديثة منذ سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك العثمانيين 1453م وظهور أوروبا في ثياب عصرها الحديث وهو عصر له سماته الخاصة التي تميزه عما سبقه ولحقه من العصور.

والهدف من هذه الدراسة هو الرغبة الشديدة في توضيح وبيان دور الإمبراطور دقلديانوس وقسطنطين الكبير في نشأة وقيام الدولة البيزنطية والتي اعتبرها بعض الباحثين امتداداً طبيعياً لتاريخ الإمبراطورية الرومانية، على اعتبار استمرار بعض مظاهر الحضارة والنظم الإدارية والاقتصادية والرومانية خلال فترات معينة من العصر البيزنطي، بل أطلق بعضهم تسمية "الإمبراطورية المتأخرة "The Later Roman Empi"، أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية The Eastern Roman Empire"، مع الوضع في الاعتبار السمات الخاصة التي ميزت العصر البيزنطي عن نظيره الروماني، وأهمها الانتقال من الإمبراطورية الرومانية القديمة إلى امبراطورية جديدة ظهرت على ساحة الأحداث الدولية وقتذاك عرفت باسم "الإمبراطورية البيزنطية " The Byzantine Empire"، ولعل استخدام هؤلاء الباحثين لمسميات "الإمبراطورية المتأخرة" أو "الإمبراطورية الرومانية الشرقية" جاء تمييزاً لها عن تلك القديمة التي تقع في الشق الغربي والتي وصل بها الضعف والإنهاك مداه بدءاً من القرن الثالث الميلادي إلى حد أنها باتت في طريقها إلى الزوال، وهو الأمر الذي تحقق مع الغزوات الجرمانية للغرب الأوروبي وتأسيس ممالك جرمانية ليغدو الغرب برمته جرمانيا، وليصبح الشرق الروماني قديماً ابتداء من القرن الخامس الميلادي هو الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية القديمة في ثيابها البيزنطية الجديدة.

أصبحت الدولة البيزنطية دولة عظيمة لعبت دوراً مهمًا في التاريخ كقوة سياسية وحربية لقرون طويلة وكمركز حضاري ثقافي. وكانت مركزاً مهماً للحضارة في العالم المسيحي فبعد فترة الازدهار والهدوء النسبي التي صحبت فترة السلام الروماني" Pox Roman " والتي دامت قرنين من الزمان وما تعرضت له الإمبراطورية الرومانية من أحداث مليئة بالاضطرابات التي استمرت ما يقرب عن قرن. وفي هذه الاثناء كان الأباطرة ينصبون ويعزلون حسب نزوات الجند، أو حسب قدرة الطامع في الوصول للعرش على رشوة قادة الجيش وجنودهم. ويمكن إرجاع ذلك إلى ضعف نظام وراثة العرش، وعدم وجود نظام ثابت لولاية العهد.

إن عدم الاستقرار السياسي والاضطراب الذي تعرضت له الإمبراطورية الرومانية وقصور الوثنية، وعدم قدرتها على ملء حاجات الناس النفسية وغيرها، أدى إلى فقد الإمبراطورية الرومانية مظهرها وطابعها اللاتيني الوثني وبدأت تأخذ شكلاً يونانياً مسيحياً.

وفي وسط تلك الأزمات الطاحنة التي واجهت الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي تولى عرش الإمبراطورية دقلديانوس Dioclus (284-305م) ويبين هذا البحث الإجابة على عدة تساؤلات وهي كيف استطاع دقلديانوس انتشال الإمبراطورية من وحل الأزمات والتمهيد لنقلها من العالم القديم إلى عالم العصور الوسطى؟ وكيف كان سبباً في ظهور رجل آخر وهو قسطنطين الكبير ابن قسطنطينوس؟ وهل استطاع أن يغير معالم التاريخ في هذه الحقبة؟ وهل اتخذه شريكاً له في الحكم أوأصبح لكل منهما حكم منفصل عن الآخر؟ وهل كانت البداية الفعلية للتاريخ البيزنطي بوصوله؟ وما أبرز وأهم أحداث عصره؟

والواقع أن معالجة عصري دقلديانوس وقسطنطين في دراسة واحدة هو لأن الكثير مما قام به دقلديانوس من إصلاحات قد اكتمل تطوره ونموه زمن قسطنطين الكبير. وعلى هذا جاء اختياري لهذا البحث، فقد حاولت طرح هذه الدراسة متبعة المنهج التاريخي السردي والوقوف على بعض النصوص وتحليلها – في حدود ما تسمح به مصادرنا التاريخية واستخلاص النتائج المرجوة بهدف بيان دور هؤلاء الأباطرة في ظهور حقبة جديدة من التاريخ.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر الأجنبية التي قمت بترجمتها، بالإضافة إلى المراجع العربية الخاصة بالتاريخ البيزنطي والتاريخ الاوروبي الوسيط والتاريخ الروماني.

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور سيتناول المحور الأول: الحديث بشكل تمهيدي عن أزمة القرن الثالث الميلادي وما حل بالإمبراطورية من أحداث أودت بها إلى الضياع.

أما المحور الثاني فيتطرق بالحديث عن عصر الإمبراطور دقلديانوس منذ نشأته وحتى توليه للحكم وأهم الإصلاحات والأعمال الإدارية والسياسية، والمالية، والعسكرية، وكيف استطاع انتشال الإمبراطورية من الضعف والتدهور والتي كانت الممهد الحقيقي للعصر البيزنطي.

وفي المحور الثالث: سيتم الحديث عن عصر الإمبراطور قسطنطين الكبير وبداية نشأته وارتقائه في المناصب وصولاً إلى بلوغه الحكم، وأهم الأعمال التاريخية العظيمة التي قام بها وهي الاعتراف بالمسيحية وبناء مدينة القسطنطينية والتي اعتبرها المؤرخون بداية فعلية للتاريخ البيزنطي ووضع الحجر الأول في أساس الدولة الشرقية البيزنطية.

أزمة القرن الثالث الميلادي وانهيار الإمبراطورية الرومانية :

مرت الإمبراطورية الرومانية بظروف حرجة خلال القرن الثالث الميلادي؛ تحديداً في الفترة الواقعة بين عامي (235-284م) . فاتساع رقعتها

وبعد أطرافها جعل من العسير على الحكومة المركزية أن تطبق النظام الروماني في كل أرجائها[1] أضف إلى ذلك تزايد هجمات القبائل الجرمانية البربرية على حدود تلك القبائل التي تمكنت من التغلغل داخل الإمبراطورية[2] وتفاقمت المشاكل السياسية والعسكرية في أخريات ذلك القرن كما اضطربت الأمور الدينية بسبب انتشار الديانة المسيحية في المجتمع الروماني على حساب الوثنية الديانة الرسمية للدولة، واضمحلت النواحي الاقتصادية وتعقدت المسائل الاجتماعية[3] فتتابع الأباطرة على حكم الإمبراطورية الرومانية، وتنوع سياستهم بتنوع شخصياتهم أدى بالإمبراطورية إلى التصدع السياسي والاجتماعي إبان القرن الثالث الميلادي. فقد نشب صراع مرير بين الأباطرة حول مسألة الحكم، فضلا عن ازدهار طبقة الفرسان والتي استولت على كافة المراكز الحيوية في الإمبراطورية[4]. ولم يعد هناك نظام معين لاختيار الأباطرة، ولم يعد لمجلس السناتو أي دور في ذلك ولعب قادة الفرق العسكرية في ولايات الإمبراطورية دورا كبيرا في تعيين وعزل الأباطرة[5].

والمتتبع لتاريخ الإمبراطورية الرومانية خلال الخمسين سنة السابقة لحكم الإمبراطور دقلديانوس أي خلال الفترة ما بين سنتي (235-285م) يلاحظ انه ادعى عرش الإمبراطورية أكثر من ستة وعشرين إمبراطوراً اغتيل معظمهم قبل الوصول إلى العرش .وكان المنهزمون من هؤلاء الأدعياء يلقبون (طغاة) والمنتصرون يلقبون (أباطرة)، وكان المنتصر دائما يستأصل معارضيه ومناوئيه، وكان معظم المتنازعين من خيرة القادة العسكريين وأكفئهم[6]. ومن خلال هذا الوضع كان من الطبيعي أن تشهد هذه الفترة سيلاً متدفقاً من المنح والامتيازات للجنود زادت من سطوتهم ونفوذهم وترك الجنود والقادة مهمتهم الأساسية في الدفاع عن الإمبراطورية.

أدت الفوضى التي سادت الإمبراطورية إلى تعرضها إلى أخطار جسيمة فقد شجعت القوى الخارجية على التجاوز على حدودها بالتغلغل في أراضيها كالأسرة الساسانية في بلاد فارس، إذ تمكنت من احتلال أنطاكية فترة من الزمن، كما هددت بقية أقاليم الإمبراطورية في الشرق. وفي الغرب توغلت القبائل الجرمانية داخل حدود الإمبراطورية. والواقع أن وضع الإمبراطورية الدفاعي كان حرجاً إلى درجة اضطرت معه الحكومة إلى صرف مبالغ طائلة على تحصين الكثير من المدن الداخلية ومن ضمنها روما نفسها وأدى ذلك إلى أضرار خطيرة ومدمرة للأحوال والنظم الاقتصادية للإمبراطورية الرومانية، فقد عانت الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي من فقدان التوازن التجاري، وقلة المتحصلات الضرائبية، وزيادة نفقات الدولة، وانتشار الأوبئة نتيجة الفقر والضعف وسوء التغذية، مما أدى إلى قلة عدد السكان ونقص القوى البشرية خاصة في مجال الزراعة، واضطر الأباطرة إلى غش العملات النقدية بزيادة نسبة النحاس والمعادن الرخيصة الأخرى، فانخفضت قيمة العملات واختفت العملات الذهبية، وحل محلها العملات النحاسية بدلاً من الفضية، وارتفعت الأسعار، واهتزت الثقة في العملة الرومانية. وأدى هذا كله إلى تضخم نقدي، وبدأ أفراد المجتمع يعتمدون اعتماداً كبيراً على نظام المقايضة نتيجة غش وتزييف العملات النقدية[7].

وفي القرن الثالث الميلادي نما أيضا نظام الضياع الكبيرة "Latifundiu" في أنحاء الإمبراطورية، وهو نظام اعتمد في الدرجة الأولى على الأقنان المعدمين، وكان ذلك على حساب صغار الملاك الذين تصرفوا لكثرة الأعباء الضرائبية في ملكياتهم الصغيرة بالرهن والبيع لأصحاب الضياع الكبيرة، وخضعوا لهم مما أدى إلى اختفاء الطبقة الوسطى البورجوازية، وأصبحت هناك مساحات من الأراضي غير صالحة للزراعة بعد أن هجرها أصحابها إلى مناطق القلاع والحصون طلبا للحماية(8). وهكذا فإنه نتيجة تعسف السلطة المركزية وفداحة الضرائب المفروضة عليهم أدى ذلك بهم إلى حالة يائسة من الفقر وسارت الطبقة النشطة في طريق الاختفاء من المجتمع الروماني . وأخذ الفرد منهم ينحدر إلى مستوى العبد والقن.

وبسبب الفوضى السياسية والتدهور الاقتصادي والاجتماعي مال الجهاز الإداري للإمبراطورية الرومانية إلى التدني والانحلال. فقد كانت الإمبراطورية تضم بلدانا وأقاليم كثيرة في أوروبا وآسيا وإفريقيا، ونجحت الحكومة الرومانية في عصر قوتها في دفع الجهاز الإداري الى العمل بدقة ومقدرة متميزتين حتى أصبحت الإدارة الرومانية أكفأ ما شهد التاريخ القديم، وعندما ضعفت الإمبراطورية الرومانية ودب الضعف في أجهزتها السياسية ونظامها الاقتصادي برزت التناقضات بأنظمتها الإدارية واستغل الموظفون ضعف الحكومة فعاثوا في الإدارة فسادا وبمرور الزمن أصيب الجهاز الإداري برمته بالشلل والعجز والفساد[9].

أما عن غارات القبائل الجرمانية فقد توغلت هذه القبائل في أوروبا داخل خطوط الدفاع للإمبراطورية الرومانية على طول نهري الراين والدانوب. وتحدث المؤرخ تاكيتوس "Tacitus" في كتابه الشهير جرمانيا[10] عن هذه الشعوب الجرمانية المتبربرة، وهي قبائل وشعوب كثيرة لا حصر لها، وقد ذكر تاكيتوس عدداً كبيراً من أسمائها، وكان موطنها الأصلي البلاد المحيطة بالبحر البلطي، وكانت بلادهم كئيبة مليئة بالغابات والأحراش والمستنقعات. وكان الجرمان يسكنون في أكواخ مشيدة من الأغصان والطي ويفضلون الحرب والقتال على زراعة الأرض، وإذا لم ينشغلوا في أعمال حربية انصرفوا إلى الصيد والراحة والدعة وموائد الخمر، تاركين مسئولية المنزل والأرض إلى النساء وكبار السن، أما المحاربون فيركنون إلى الاسترخاء والبطالة[11].

انتهزت القبائل الجرمانية ما حل بالإمبراطورية الرومانية من انهيار وضعف وتحركت جنوباً في المناطق الواقعة بين نهري الألب والراين، ثم زادت أعدادهم بنسبة كبيرة في منتصف القرن الثالث الميلادي والحقيقة لا يسع المجال في هذا المقام عن الحديث بتوسع عن الغزوات الجرمانية وللتفصيل أكثر انظر جوزيف نسيم[12].

وتعرضت الإمبراطورية الرومانية لخطر جديد من الشرق وهو الدولة الساسانية في بلاد الفرس ورغب الساسانيون في إحياء الإمبراطورية الشرقية التي قضى عليها الإسكندر الأكبر وقادته، وادعى الساسانيون بأحقيتهم في الاستيلاء على مصر وآسيا الصغرى وقاموا بإغارات مستمرة على أطراف الإمبراطورية[13].

وعلى الصعيد الديني وفي وسط تلك الأحداث والأزمات الطاحنة التي واجهت الإمبراطورية في القرن الثالث وجد الرومان أن الوثنية لم تحقق لهم إلا القليل من الراحة والأمان والطمأنينة، وتطلع سكان الإمبراطورية إلى الديانات الشرقية لما تمنحه من قوى روحية وراحة نفسية وجزاء في الحياة الأخرى، وساد الإمبراطورية صراع نفسي نتيجة للإفلاس الروحي والفكري، يضاف إلى ذلك أن الديانات الشرقية نافست الوثنية ليس فقط في النواحي الروحية والدينية، وإنما في المستوى العالي لطقوسها أيضاً. وبالتالي انتشرت في أنحاء الإمبراطورية في القرن الثالث ديانات مثل متراس الفارسية، والمسيحية، واليهودية، وايزيس، واوزيريس ما يوضح انتصار المسيحية في القرن الرابع فيما بعد، وظاهرة انتشار الديانات الشرقية في القرن الثالث ووقوف المثقفين

المسيحيين في وجه الديانات المنافسة للمسيحية[14] ومن ذلك نستنتج أن كل تلك الظروف الصعبة التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية والتي انتهت بسقوطها فيما بعد ما هي إلا إشارات وإرهاصات لظهور الدولة البيزنطية ومنها بداية حقبة جديدة من مراحل التاريخ وهي مرحلة العصور الوسطى الأوروبية.

عصر الإمبراطور دقلديانوس(284-305م):

في تلك الظروف الصعبة التي مرت بالإمبراطورية الرومانية غدت بحاجة ماسة إلى من يقيلها من عثرتها وفي ظل تلك الأزمات التي انتهت بظهور الدولة البيزنطية قدر لها أن تصحو على يد إمبراطور مصلح ولديه الشجاعة وقوة الإرادة ما مكنه من إنقاذها. ذلك الرجل هو دقلديانوس"Diocletian الذي تولى عرش الإمبراطورية سنة 284م[15].

1-نشأته وحياته الشخصية :

ينتمي دقلديانوس لأسرة فلاحية متواضعة من مقاطعة دلماشيا التابعة لإقليم إلليريا المطل على البحر الادرياتي بالشمال الغربي لشبه جزيرة البلقان، فقد ولد في مدينة صغيرة تدعى سالونا "Salona" سنة 245م، كان والداه عبدين لدى أسرة نبيلة في بيت أحد الشيوخ الرومان، وكان سيدها أحد أعضاء مجلس السناتو ويدعى أنولونيوس ."Anulinus"تحصل والده على الحرية لأسرته وحصل على وظيفة كاتب بسيط في الدولة، غير أن دقلديانوس سلك طريق الجندية. وبفضل نبوغه وطموحه أخذ يتدرج في المناصب الصغيرة في الدولة. ثم ارتقى إلى حكم ماسيا "Maesia" في البلقان ثم إلى رتبة قنصل، وأخيراً وعلى أكتاف الجيش تمكن من بلوغ كرسي الحكم[16].

واعتلاء دقلديانوس العرش البيزنطي يمثل في حد ذاته أمرين مهمين كانا يميزان وضع الإمبراطورية خلال تلك الفترة من تاريخها أولهما تركيب الجيش الروماني من عناصر غير رومانية وثانيهما الدور الذي كان يلعبه الجيش في سياسة الإمبراطورية.

2-دقلديانوس ومهمة الإصلاح :

لم يكن دقلديانوس مثقفاً ثقافة عالية، ولم يكن ملماً بتطور الأنظمة الرومانية، ولا متبحراً بتاريخ الرومان، ولكنه كان ثاقب الفكر بعيد النظر فقد تفهم مشاكل عصره قبل أن يتولى العرش. وكجندي نظر لمشاكل الإمبراطورية من زاوية عسكرية بالدرجة الأولى .فقد شعر بأنه لم يعد بوسع إمبراطور واحد الإشراف على شؤون الدفاع عن هذه الإمبراطورية العظيمة التي تعاني من مشكلات داخلية وغزوات الفرس والجرمان . ولهذا وضع دقلديانوس نظامًا جديدًا في الحكم فقد قسم الإمبراطورية إلى قسمين[17]، شرقي وغربي ويحكم كل منهما إمبراطور يلقب بلقب أوغسطس "Augustus" ووضع زميله ورفيقه في السلاح مكسيميان"Maximian "[18] .في المنصب الإمبراطوري ليصبح شريكاً له في الحكم حيث أضفى عليه في البداية لقب قيصر سنة 285م. ثم ما لبث أن منحه لقب أوغسطس، ولم تمض خمس سنوات من عهد دقلديانوس حتى اضطر هو وزميله للاعتراف بقائدين آخرين من بين قوادهما يكونان نائبين لهما وأطلق عليهما لقب قيصر "Caeser"[19] ويحل كل منهما محل الأوغسطس بعد وفاته أو استعفائه. فعين جالريوس قيصراً نائبا لدقلديانوس واستقر في القسم الشرقي، وجعل مدينة نيقوميديا مركزًا له. في حين أصبح قسطنطينوس قيصراً للإمبراطور مكسيميان في القسم الغربي ومقره مدينة ميلان وسمي الحكم بذلك حكم الأربعة أو النظام الرباعي[20]. ولعل ما شاهده دقلديانوس من المشكلات والأزمات التي أخذت تنخر في عظام الإمبراطورية في القرن الثالث، زودته بخبرة لتوليه وظائف متعددة أهلته ليصبح من المصلحين الناجحين.

والملاحظ في الأمر أن الغرض الأساسي مما قام به دقلديانوس هو منع قيام الجند بتنصيب الأباطرة وعزلهم. واعتبر الحكام الأربعة يحكمون امبراطورية رومانية واحدة غير منقسمة.

حقق هذا الإصلاح الإداري في عصر دقلديانوس النجاح، وأمد الإمبراطورية بحكومة قوية استطاعت أن تقف في وجه الغزوات الخارجية[21].

أما عن العاصمة فرأى دقلديانوس أن روما لم تعد تصلح للبقاء كعاصمة وحيدة للدولة، لذا اتخذ عاصمته الجديدة في الشرق نيقوميديا، وجعلها مركزًا لحكمة وقد خص نفسه بحكم تراقيا. بينما شريكه مكسيميان أقام في مدينة ميلان[22]، ويمكن إرجاع سبب اتخاذ دقلديانوس لعاصمته الجديدة وإقامة حكمه في الشرق لشعوره بأن ميزان القوى يميل في صالح الأقاليم الآسيوية الشرقية بفضل ثرواتها وغناها وعظم الكثافة السكانية فيها.

كما اتخذ مدينة تريف "Trevesl" الواقعة على نهر الراين بألمانيا الحالية مقرًا لقسطنطينوس. أما جاليروس فاتخذ من سرميوم على ضفاف نهر الدانوب مركزا له[23].

إلى جانب ذلك حددت فترة حكم الإمبراطور بفترة زمنية مدتها عشرين عامًا يتخلى بعدها عن الحكم طوعًا. وأصبح للقيصر ما للإمبراطور من حقوق وامتيازات كإضفاء ألقاب التشريف على أنفسهم وحق سك العملة[24]،.وهكذا بدلًا من بلاط إمبراطور واحد أصبح هناك أربعة أقسام وهي: الأول إيطاليا وعاصمتها ميلان، والثاني غالة وعاصمتها تريف، والثالث يشمل اليريا وعاصمتها سرميوم أما القسم الرابع فهو يضم الجانب الشرقي وعاصمته نيقوميديا. ثم تنقسم هذه الأقسام بدورها إلى وحدات أصغر بلغت سبع عشرة وحدة تسمى كل منهما مقاطعة"Diocese" يحكم كل منها نائب" Vicar "يأتي بعد ذلك حكام الولايات وتحت إشرافهم عدد من الموظفين المحليين، ويتدرجون في رتب ودرجات تبدأ من أصغر موظف وتصل إلى الإمبراطور[25] .

أما السلطة العسكرية فكانت في معظم الولايات في يد قائد يسمى" Dux" وهي منفصلة تمامًا عن السلطة المدنية وقام بحرمان حكام الولايات من السلطات العسكرية من قيادة الجيوش داخل ولاياتهم مما أدى الى زيادة سلطة الحكومة المركزية. وأبعد أعضاء مجلس السناتو (الشيوخ) من النبلاء عن تولي وظائف كبيرة في الجيش، وعين في الوظائف العسكرية رجلاً من الفرسان أي من الطبقة الوسطى الذين أهلتهم كفاءاتهم لتولي هذه المناصب[26] .

حظي الجيش بعناية فائقة من جانب دقلديانوس لأن الإدارة الرومانية اعتمدت اعتماداً كبيراً على قواتها المسلحة في إحكام سيطرتها على الولايات في الشرق والغرب، لذا قام بإصلاح قلاع الحدود القديمة وشيد قلاعًا جديدة، وأصلح أسوار المدن، وحشد فرق عسكرية جديدة للدفاع عن الإمبراطورية وسميت هذه الفرق باسم قوات رفاق الإمبراطور أو الحرس الخاص" Comitatenses" . وهناك جيش آخر لحماية الحدود وسمي باسم حرس الحدود "Limitanei" وتم توزيع الأراضي الواقعة عند حدود الإمبراطورية على حرس الحدود لزراعتها مقابل الخدمة الحربية والدفاع عنها ومنها تكونت طبقة الجند المزارعين التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ الدولة البيزنطية. إضافة إلى ذلك فقد كانت هناك جيوشًا خفيفة متحركة "Vexillationes" مرابطة في قلب الولايات في المدن الهامة ويسهل نقلها إلى ميادين القتال. وأضيفت في عاصمة الإمبراطور قوات جديدة إلى القوات التي

تصاحب الإمبراطور[27].

أما عن الجانب الاقتصادي فقد أثرت إصلاحات دقلديانوس تأثيرًا كبيرًا في زيادة نفقات الدولة فزادت أعداد العسكريين والمدنيين وتزايد عدد كبار موظفي الإمبراطورية ذوي الرواتب الكبيرة وقد أرهق ذلك الدولة ولم تقض تلك الإصلاحات على مشكلة زيادة الأسعار ونفقات المعيشة مما جعل دقلديانوس يعيد النظر في تلك الأمور الخاصة بالمشكلات الاقتصادية واتجه غلى إصلاح النظام المالي اصلاحاً جوهرياً شاملاً[28] فقرر ضرب عملة ذهبية أطلق عليها اسم الأوريوس"Aureus "إلى جانب الدينار البرونزي القديم. الذي أدخل على وزنه بعض التعديل ليتفق والنظام الجديد للعملة من أجل حماية الفقراء من جشع المستغلين، ومن أجل حيازة ثقة التجار والمتعاملين إلى جانب تحديد كميات البضائع المتداولة، والتي تعرض للبيع من جهة أخرى[29]. وبذلك تمكن من السيطرة على العملة وتثبيت قيمتها رغم قلة النقود الذهبية والفضية وشحتها.

أصدر دقلديانوس لائحة خاصة بالأسعار سنة 301م وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى اهتمام الحكومة بهذه المشكلات الاقتصادية. واحتوت لائحة الأسعار على السلع المختلفة مثل القمح، والشعير، واللحوم والخضروات والفواكه، والسمك، إضافة إلى المنسوجات، فضلا عن أجور الحرفيين[30]

أعاد دقلديانوس فرض الضريبة القديمة التي كانت تجبى نوعًا وأصبحت تجبى على شكل محصولات زراعية أو منتجات حيوانية وربما يرجع السبب في ذلك للقضاء على غش العملات وتثبيت الأسعار، وضمان ارتباط المزارعين بالأرض الزراعية. وتحديد نوع المحاصيل الأمر الذي مكن الحكومة من تقدير ميزانية سنوية ومعتمدة للإنتاج الزراعي[30].وهذا يدل أيضا على ما لاحظه دقلديانوس من نقص متحصلات الضرائب النقدية الواردة لخزانة الإمبراطورية وساعد ذلك الحكومة على تقدير ميزانية سنوية معتمدة على الإنتاج الزراعي للإمبراطورية.

أولى دقلديانوس اهتمامًا بالأراضي الزراعية فقد أعاد مسح أراضي الإمبراطورية، وفرضت ضرائب جديدة قابلة للتعديل كل خمس عشرة سنة وتمت عملية مسح الأراضي، وإحصاء عدد السكان بطريقة دقيقة وصارمة[31].

أما عن التجار والحرفيين فكانوا يدفعون ضريبة نقدية كل خمس سنوات عرفت باسم "Chrysargyron"[32] .

وفيما يخص النواحي الدينية فقد حرص دقلديانوس نفسه الذي ظل وثنيًا على اتباع سياسة التسامح الديني مع المسيحيين. في حين كان القيصر جاليروس نائب دقلديانوس في الشرق معارضًا بشدة للمسيحيين ومن ألد أعدائهم وقد بذل جهدًا كبيرًا في إقناع دقلديانوس وحثه على اضطهاد المسيحيين ويذكر أن عام 284م سمي بعام الشهداء نظرًا لشدة ما اتخذه من إجراءات صارمة بحق المسيحيين. ففي المدة بين سنتي 302-305م أصدر دقلديانوس و جاليروس أربعة مراسيم تحث على اضطهاد المسيحيين، ومنعهم من التجمع وتحريم طقوسهم واعتبارها خروجًا عن القانون ووصل الأمر إلى حرق الإنجيل والكتب الدينية المقدسة، وقتل كل من يرفض تقديم القرابين للآلهة الوثنية[33] والملاحظ في الأمر أنه كان وقع الاضطهاد شديدا على الأقباط لدرجة أنهم اتخذوا من سنة 284 م وهو تاريخ تولّي دقلديانوس الحكم بداية للتقويم القبطي.

إلا أن ذلك لم يدم طويلًا ففي سنة 305م مرض دقلديانوس وتقدم بالسن وبموجب القرار الذي اتخذه في بداية حكمه عندما اختار زميله مكسيميان شريكًا له في حكم الإمبراطورية فاشترط عليه أنه عندما يحين الوقت فإنهما يتنازلان عن الحكم معًا في وقت واحد. وهذا ما حدث في سنة 305م فقد اعتزل كل منهما عن لقبه الإمبراطوري والعمل السياسي. وأصبح جاليروس حاكمًا للقسم الشرقي من الإمبراطورية خلفًا لدقلديانوس. في حين أصبح قسطنطينوس حاكمًا على القسم الغربي خلفًا لماكسيميان. وصار جاليروس وقسطنطينوس إمبراطوران يحملان لقب أوغسطس، لكن قسطنطينوس لم ينعم طويلًا بالحكم إذ توفي سنة 306م في مدينة يورك في بريطانيا. ونادت الحامية الرومانية آنذاك بتنصيب ابنه قسطنطين في منصب أوغسطس خلفًا لوالده. أما جاليروس فقد قامت ضده ثورة في نفس العام أسفرت عن إطاحته وتنصيب مكسينتيوس"Maxentius"ابن الإمبراطور السابق مكسيميان بدلًا عنه[34].

وقد اتسم حكمه اتسم بالطغيان وأدى ذلك إلى نفور الرعية منه وكان ذلك فرصة طيبة لقسطنطين الذي زحف بجيشه وتولى إدارة غالة ثم مالبث أن غزا إيطاليا وهزم مكسينتيوس وقتله عند جسر ميليفيان سنة 312م وأعدم أبناءه إلا أنه فيما بعد أصدر عفوًا عن الذين ساهموا في القتال إلى جانب مكسينتيوس، وقام بزيارة لمجلس السناتو وأكد على احترامه له فكان رد المجلس بأن أصدر مرسومًا يقضي بتعيين قسطنطين إمبراطورًا للقسم الغربي .

أما القسم الشرقي من الإمبراطورية فقد عانى هو الآخر من الاضطراب والحروب الأهلية .فتمكن ليسينيوس"Licinus "رفيق قسطنطسين من تحقيق النصر على خصومه وتولى حكم الجانب الشرقي من الإمبراطورية[35]. على الرغم من فشل بعض مخططات دقلديانوس، إلا أنه إصلاحاته غيرت الإمبراطورية من الناحية الإدارية والتنظيمية وساعدت في استقرار الإمبراطورية اقتصادياً وعسكرياً وأطالت عمر الإمبراطورية على الرغم من أنها كادت أن تنهار في شبابه.

عصر قسطنطين الكبير (306-337م):

كان قسطنطين ابنًا غير شرعي للإمبراطور قسطنطينوس أحد الأباطرة الأربعة على عهد دقلديانوس من عشيقته هيلينا (هيلانة) التي كانت تعمل في إحدى الحانات وأقام معها عدة سنوات ثم هجرها سنة 289م ليتزوج من ثيودورا "Theodora" ابنة زوجة الإمبراطور ماكسيميان وتربى قسطنطين في القصر الإمبراطوري في نيقوميديا وكان منذ صغره على دراية بأسرار الحكم والسياسة فعندما عين والده قيصرًا في الغرب تقرر إلحاقه بخدمة الإمبراطور دقلديانوس في الشرق وبعد تنازل دقلديانوس عن العرش سنة 305م لحق قسطنطين بوالده في الغرب وكما سلف ذكره عندما توفي والده نودي به إمبراطورًا هناك[36] .

أظهر قسطنطين مقدرته الحربية الفائقة في ساحات القتال وبرهن على براعته القتالية وهو لايزال في الثانية والثلاثين من عمره، وكان مخلصًا ومحبًا لعمله فأحبه الجيش والشعب وتعد بداية حكمه المرحلة الانتقالية لبداية قيام الإمبراطورية البيزنطية. حاول قسطنطين أن ينفذ بعض الإصلاحات الإدارية والمدنية وإكمال التنظيم الإداري لمن قبله، وأصبح هذا النظام الذي وضعه هو النظام الذي سارت عليه الدولة البيزنطية، فقد اهتم بفصل السلطة العسكرية عن المدنية وغدا حاكم الولاية مسؤولاً عن شؤونها

الإدارية والمدنية، في حين أصبحت شئون الولاية العسكرية في يد القائد العسكري الذي ربما اتسعت مسؤولياته لتشمل أكثر من ولاية، وطبقا لهذا النظام حرم الولاة الأربعة الكبار في غالة وإيطاليا وايبيريا والشرق من سلطاتهم العسكرية، واقتصرت اختصاصاتهم على السلطة المدنية، لكن هذه السلطة المدنية اتسعت وتشعبت فصار الوالي نائباً للإمبراطور بولايته، وعدت أحكامه القضائية نهائية، وغدا من حقه الإشراف على النقابات والهيئات وخطط التعليم ومراقبة الأسعار والإشراف على البريد الإمبراطوري وإقامة المنشئات العامة، وتجنيد الجند وامداد الجيش، أما بالنسبة لولاية الجيش فقد جعلها قسطنطين وراثية[37].

في الحقيقة لايمكن الفصل بين الإصلاحات التي قام بها قسطنطين عن الأخرى التي قام بها سلفه دقلديانوس لأن كل منها مكمل للآخر غير أن شهرة قسطنطين ومكانته البارزة بين زعماء العالم تستند على عدة أحداث تميز بها عصره، واعتبره المؤرخون محقق الانتقال من العالم القديم إلى عالم العصور الوسطى، ومن هذه الأحداث ما يلي:

(1) الاعتراف بالديانة المسيحية :

نتيجة لما عانت منه الديانة المسيحية من اضطهاد وتعذيب بتشجيع من بعض الأباطرة الرومان أنفسهم. وعقب اعتلاء قسطنطين منصب الأوغسطسية سنة 306م اعترف بالمسيحية، وأصدر مرسومًا سمي بمرسوم ميلان سنة313م الذي أعاد السلام والهدوء للمسيحيين وبموجب هذا المرسوم اعترف قسطنطين بالديانة المسيحية كإحدى الديانات المصرح باعتناقها وممارسة شعائرها في الإمبراطورية.[38].

في الواقع أنه من المعروف أن المسيحية تعرضت لحركة اضطهادات منذ قيامها، وكان المسيحيون يمارسون عقائدهم سرا حتى أصبحوا عنصراً غريباً بين مواطني الإمبراطورية وكان طبيعياً أن تتخذ الإجراءات اللازمة لإدماجهم أو استئصالهم وقد لجأ قسطنطين إلى الحل الأنسب وهو استمالتهم والاعتراف بالديانة المسيحية فقد لاحظ أن سياسة الاضطهاد سياسة فاشلة لم تأت إلا بالضرر على الإمبراطورية .

اختلفت الآراء والروايات حول الدوافع التي كانت وراء اعتراف قسطنطين بالمسيحية فلعل أشهرها تقول: إن قسطنطين في حربه ضد خصمه ماكسينتيوس رأى صليبًا نورانيًا على قرص الشمس يحيط بالأفق مكتوبًا عليه ستنتصر ثم رأى المسيح في الليلة التالية في حلم حاملًا نفس العلامة وقد قص قسطنطين ذلك لرفاقه ويقال إن الصليب كان مرسومًا على دروع رجاله أثناء الحرب بأمر منه[39].

ويقال إن تأثر قسطنطين بالمسيحية يرجع إلى حد ما لدور أمه هيلانة التي اعتنقت المسيحية واعتبرها فيما بعد (القديسة هيلانة). ويبدو أنها أدت دورًا مهماً في اعتراف قسطنطين بالمسيحية وعملت على رفع شأنها في جميع أنحاء الإمبراطورية حيث زارت بيت المقدس سنة 313م، ووزعت العطايا والهبات بسخاء وساهمت في تشييد الكثير من الكنائس ويقال إنها اكتشفت صليب الصلبوت في حين أنه لم يذكر أحد من المؤرخين المعاصرين شيئًا عن دور هيلانة في مسألة العثور على خشبة الصليب ويرجح أنها توفيت قبل اكتشافه[40].

يضاف إلى ذلك أن قسطنطين وجد الإمبراطورية سوف تعتمد بشكل رئيسي في مواردها المالية على ولاياتها في آسيا الصغرى، والشام، ومصر، حيث انتشرت المسيحية فرأى ضرورة كسب ولاء سكان تلك الولايات حفاظًا على وحدة الإمبراطورية. كما منح الإمبراطور رجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي كان يمتاز بها كهنة الديانة الوثنية وازداد عدد الكنائس وازداد غناها نظرًا لإعفاء رجال الدين من الضرائب[41]. لذا فقد رأى قسطنطين أن وحدة الإمبراطورية تعتمد على وحدة الكنيسة، ولم يتصرف كإمبراطور روماني فحسب بل كإمبراطور وبابا بيزنطي في آن واحد، يضاف إلى ذلك ان دعوة المسيحية للمساواة والسلام والمحبة تحتم ضرورة اتباع سياسة إيجابية نحوها .

وفي نهاية حكم قسطنطين اتسعت سلطة المحاكم الدينية فأصبح حكم الأسقف يجب أن يقبل كحكم نهائي، ويمكن نقل أي قضية مدنية إلى محكمة دينية حتى لو لم يوافق الخصم على هذا النقل، كما أصبح على القضاة الكنسيين أن يصدقوا أحكام المحاكم المدنية، وأعفوا من الضرائب وتأدية الوظائف المدنية .ويقال أن قسطنطين أمر بتشييد عدد كبير من الكنائس في أنحاء الإمبراطورية مثل كنيسة بطرس في روما وكنيسة الصعود على جبل الزيتون وكنيسة المهد في بيت لحم .وزين قسطنطين فيما بعد عاصمته الجديدة القسطنطينية وماجوراها بعدد من الكنائس[42] . ومن الملاحظ أن هذه الامتيازات أدت الى ازدياد نفوذ الأساقفة في المجتمع، ولكنها من جهة أخرى زادت من أعبائهم وأقحمتهم في مشاكل كانوا بعيدين عنها، كما جعلت رجل الدين مضطراً لأن ينغمس في قضايا دنيوية.

(2) بناء مدينة القسطنطينية:

كانت الخطوة الثانية التي اتخذها قسطنطين والتي بفضلها تبوأ مكانة بين عظماء التاريخ؛ هي نقله للعاصمة من الغرب إلى الشرق إلى المدينة الجديدة التي اتخذها حاضرة لدولته وهي مدينة القسطنطينية .

والحقيقة أن قسطنطين رأى بثاقب نظره أن روما حصن الوثنية لم تعد صالحة لأن تكون عاصمة للإمبراطورية بعد أن بدأت المسيحية في الانتشار[43].

أقيمت مدينة القسطنطينية على موقع مدينة بيزنطة ""Byzantium المستعمرة اليونانية القديمة والتي تقع على جزيرة مثلثة تقريبًا وتبرز بين بحر مرمة "Marmara "والقرن الذهبي" Golden Horn" ذلك الميناء الطبيعي الكبير.عاشت بيزنطة قديمًا فترة من الازدهار بفضل موقعها المطل على الطرق التجارية[44].

لقد كثر النقاش حول الأسباب التي دفعت قسطنطين لاتخاذ هذه الخطوة فهناك من قال إن السبب الرئيسي وراء ذلك هو رغبة قسطنطين في جعل المدينة الجديدة عاصمة مسيحية لاسيما وأن المسيحية سادت الجزء الشرقي من الإمبراطورية[45].

وهناك من قال بأن الهدف من اتخاذ هذه الخطوة هدف حربي فقد أدرك قسطنطين أن الخطر الرئيسي لإمبراطوريته يأتي من جهة الشرق من قبل القبائل المتبربرة فيما وراء الدانوب. ومن ناحية الدول الشرقية الواقعة فيما وراء نهر الفرات[46].

كما كان هناك سبب شخصي أيضًا. إذ رأى قسطنطين أن يشيد للإمبراطورية عاصمة جديدة على غرار ما فعل روميلوس منشئ روما، والإسكندر المقدوني منشئ الإسكندرية[47].

وتذكر المصادر أن قسطنطين عندما شرع في بناء عاصمته حمل حربة في يده وسار على قدميه تتبعه حاشيته كلها لتضع حدود المدينة[48]. حيث سأله أحد أفراد الحاشية عند أي مدينة يقف! أجاب قسطنطين عندما

يقف من هو سائر أمامي. وفي ذلك إيحاء إلى وجود قوة إلهية تقوده في هذا العمل[49].

والواقع ومن خلال الروايات السابقة يتضح أن قسطنطين رأى أن فكرة الانتقال إلى الشرق هي الأكثر نفعاً وهي في الغالب لم تكن فكرة جديدة فقد سبقه دقلديانوس بعد أن نقل عاصمته من روما إلى نيقوميديا في الشرق إلى جانب أن قسطنطين نفسه كان من أبناء البلقان فتوقع أن أهل المنطقة سيكونون أكثر إخلاصاً وطوعاً له من الرومان الغربيين كما ترجع أهميتها إلى أنها المكان المثالي لأهميتها التجارية ولأنها تتحكم في الطريق البحري الكبير من الشمال إلى الجنوب والذي يربط البحر المتوسط بمنطقة روسيا ذات المصادر الطبيعية الغنية بل أنها تتحكم في الطريق الموصل بين أوروبا وآسيا،وبين البحر الأسود والبحر الايجي والبحر الأبيض المتوسط.

أقيمت القسطنطينية إذن عند مدخل البسفور، فأصبحت تتحكم في الانتقال من أوروبا إلى آسيا[50]، ومن البحر الأسود إلى البحر المتوسط. واستطاعت الصمود بين الحضارات الطويلة البرية والبحرية، فقد صمدت لنحو ألف عام قبل أن تسقط نهائياً سنة1453م[51].

وضع قسطنطين بنفسه تصميم المدينة الجديدة سنة 324م واستخدم نحو أربعين ألفاً من الرجال[52]. وبنى القصور، والدور، والسقائف، والمحاكم، والحمامات، وتعمق الإمبراطور في استخدام أفخم العمائر والفنون في تصميم المدينة. وقرر قسطنطين أن يجعل عاصمته الجديدة مهيأة لتعلب الدور الذي كان لروما القديمة .فأسس بها مجلسا للشيوخ (السناتو)، يضاف إلى ذلك أن القسطنطينية منذ تأسيسها كانت تتميز بالطابع المسيحي الواضح في كل نواحي الحياة فيها، وعدم الصلة بالماضي الوثني[53] .

ومن الواضح أن تأسيس القسطنطينية بداية تاريخية لميلاد عهد جديد أخذ فيه العالمان الإغريقي والروماني يبتعدان عن بعضهما شيئًا فشيئًا ومن هنا كانت المراحل الأولى لنشأة التاريخ البيزنطي.

نتائج البحث :

نستنتج من خلال هذه الدراسة ما يلي

- أن المُمهد الأول للعصر البيزنطي هو الإمبراطور دقلديانوس الذي استطاع أن يضبط زمام أمور الإمبراطورية بإصلاحاته.
- تمكن دقلديانوس من إلغاء ما اعتبره فاسدا وأبقى عل ما رآه غير ذلك.
- استحدث بعض التنظيمات التي رأى أنه يستطيع بها حل مشاكل الإمبراطورية.
- استهدفت إصلاحات دقلديانوس تقوية سلطة الإمبراطور، وإقامة جهاز إداري دقيق يمكنه من السيطرة على شؤون الإمبراطورية.
- فصل بين السلطة العسكرية والمدنية.
- قسم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي ،حكم كل منهما حاكم يحمل لقب اوغسطس، وتولى دقلديانوس القسم الشرقي بينما تولى مكسيميان القسم الغربي.
- تم تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقسام وكان هذا النظام الرباعي يقضي بأنه عندما يعتزل الاوغسطس يخلفه القيصر الذي يرقى إلى اوغسطس، ويعين لمساعدته قيصراً جديداً وهكذا تباعا.
- وفي عام 305م اعتزل دقلديانوس الحكم، وفي الوقت نفسه اعتزل مكسيميان الحكم وفقا للاتفاق المسبق.
- اقتفى قسطنطين في إصلاحاته الإدارية أثر السياسة التي وضع أساسها دقلديانوس.
- تمتع قسطنطين بأهمية خاصة في التاريخ نظراً للأعمال التي قام بها وهي الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية، واختيار العاصمة الجديدة القسطنطينية والتي كانت لها أثراً ووقعاً كبيراً في تغيير وجه التاريخ والانتقال من العالم القديم الى عالم العصور الوسطى.
- قام قسطنطين بإتمام الأعمال التي بدأها سلفه دقلديانوس بشكل أبعد نظراً.
- من الملاحظ أن الإصلاحات الإدارية التي قام الإمبراطوران دقلديانوس وقسطنطين قامت على أساس التفرقة بين السلطتين الحربية والمدنية.
- بفضل النظام الرباعي الذي أنشأه دقلديانوس وانقسام الإمبراطورية إلى أربعة أقسام، وصل قسطنطين للعرش البيزنطي ومنها بدأ العصر البيزنطي في الشرق بعاصمته الجديدة (القسطنطينية) وديانته المسيحية ونشأت الإمبراطورية البيزنطية التي استمرت أكثر من ألف عام من الزمن.

الهوامش :

1-Lot f, (The End of the Ancient World and the Biginng of the Middle ages ,London, 1966 , p9-10

2-Gibbon,E The decline and Fll of the Roman Empire,(penguin books) N.D ,P32.

3-Vryonis,Byzantium and Euorpe ,London, 1967,p12-13, Katz,S, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe ,New york, 1955 ,p31

4-William,G.Sinnigen,A history of Rome,London,p409,1937l .

5-علي الغمراوي ، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي الوسيط، ط2، القاهرة ،1977م،169.

6- سيد أحمد الناصري تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ،القاهرة ،1975، ص279-280.

7- م، ريستوفتزف ،تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم ،ج1، القاهرة ، 1957م، ص604-617

.

8- Ostrogorski,(A Hist.of the Byzantine State,Oxford, 1956 السيد البازالعريني، الإمبراطورية البيزنطية ،القاهرة

،ع لي الغمراوي ، المرجع السابق، ص 201-202. 20-19 ،1965 ،

8- هـ.أ.ل.فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة ،السيد الباز العريني، دار المعارف ,القاهرة ، ج1،ط6،1976، ص1-2.

9- فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية، دار الفكر الجامعي الإسكندرية، 2002م،ص22 .

10-ولد تاكيتوس سنة 55م ،وتلقى تعليمه كابن لأحد الفرسان الرومان، وترقى في سلك الوظائف وعين قنصلا عام 97م ثم حاكما لولاية آسيا سنة 112-113م ، وتوفي سنة 118م وقد ترجم كتابه إلى العربية إبراهيم علي طرخان ، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، القاهرة، 1959م.

11-انظر إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ،ص47 -73، اسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في "مدينة الله"، القاهرة ،1972، ص105-109.

12-جوزيف نسيم العصور الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2006م، ص69.

13-وعن قيام الدولة الساسانية ،انظر أرثر كريستنسن، إيران في عهد

الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة 1957، ص72-83.

14- Vryonis,op.cit,p12-13.

15- عفاف سيد صبرة ،الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1982م، ص8.، حسنين محمد ربيع، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط8، دار النهضة العربية، القاهرة ،2008م، ص17.

16- Gibbon,op.cit,p181-182, Ostrogorski, op.cit ,p28.

17-Vasiliev.A.A, History of the Byzantin Empire,324-1953.I.Midson, 1961, p60.

18- كان مكسيميان فلاحاً من مقاطعة سرميوم (بلغراد الحالية) بإقليم ايلليريا، وكان أمياً ساذجاً في مظهره وسلوكه، خشناً قاسياً .انخرط في سلك الجندية وارتقى في المناصب العسكرية وأجاد فنون القتال، وكان أداة مطيعة في يد ولي نعمته دقلديانوس انظر Lote,op.cit,p17-18

19-Rice,Byzantium,p1 .

20-Gibbon,op.cit,p185-186 .

21 - سيد أحمد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، 1975، ص330-337. ، Vasiliev, Op,cit,p60 .

22-Vasiliev,op.cit,p60 .

23-Rice,op.cit,pp10-11 .

24-Ostrogorski,op.cit,p31 .

25- سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، ج1، 1972، ص37.

26- السيد البازالعريني، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1965، ص28، نورمان بينز الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة(حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد)، ط2، القاهرة ،1957.ص3-4.

27- Ostrogorski ,op.cit,p42

السيد ،المرجع السابق، ص25.

28- Ostrogorski ,op.cit,p42-43 .

29- سعيد ، المرجع السابق، ص26

30-عن لائحة الأسعار التي أصدرها دقلديانوس سنة 301م انظر سيد، المرجع السابق، ص349-350.

31-W.Ensslin,the Reforms of Dicoletion(in Cambridge Ancint History) Voll11,p282..350ص،المرجع السابق، سيد -

32-Vryonis,op.cit,p20-21 .

33-vryonis,op.cit,p21

34-vryonis,op.cit,p23.

35--vryonis,op.cit,23-24.

36- Vasiliev,op.cit,p44. عبد العالي علي الفيتوري،الإمبراطور قسطنطين والمسيحية(306-337م)،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة المرقب ،ترهونة ،2008م،ص25

37- Gibbon,op.cit,p247. أشرف رفيق محمود الغفري،أثر الحضارتين الفارسية والبيزنطية على الترتيبات الإدارية في عهد عمر بن الخطاب ،(13-23هـ/634-643م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب،الجامعة الإسلامية ،غزة ،2015،ص12.

38-Lote,op.cit,p26 Oman,C.W, The Byzantine Empire,London1914,p13-15.

39 - اسحق عبيد، قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع؟ المجلة التاريخية المصرية ،م17، 1970، ص5-21.

40- Ostrogorski ,op.cit,p41

41-Chadwick,Hthe Early Church,London,1967,p122.

42- Chadwick,Hthe Early Church,London,1967,p122.

43-Davi,R.H.C, Europefrom Constantine to Saint Louis,London,1968,p14.

-اسحق، قصة عثور القديسة، ص5-21.44

45-Hussey, The Byzantine World,London.1967 ,p12.

46-Katz,S The Desline of Rome and the Rise of Medieval Europe,New york,1955,p50.

47-سيد، الإغريق تاريخهم وحضارتهم ،ط2،القاهرة ،1977،ص166--

170Rice ,op.cit,pp13-14.Osrogoroski,op.cit,p41 -.

48-36. سعيد، المرجع السابق، ص43

49-Lot,op.cit,p36-37.

50- هـ.أ.فيشر، المرجع السابق، ص10.

51- سيد، الإغريق ،ص166-171.

52-Rice,op.cit,p13-31.

53- Lot,op.cit,p3.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً-المراجع العربية:

[1]- اسكندر، فايز نجيب، تاريخ الدولة البيزنطية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ،2002م بينز، نورمان الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة (حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد)، ط2، القاهرة، 1957.

[2]- ربيع ، محمد حسنين ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط8، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008م.

[3]- صبرة، عفاف سيد، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1982م.

[4]- طرخان، ابراهيم علي، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، القاهرة، 1959م.

[5]- عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوروبا في العصور الوسطى ، ج1، القاهرة، 1972.

[6]- عبيد، اسحق، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في "مدينة الله"، القاهرة، 1972.

[7]- العريني ،السيد الباز، الإمبراطورية البيزنطية ،القاهرة ،1965.

[8]- الغمراوي، علي، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي الوسيط، ط2، القاهرة، 1977م.

[9]- كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، 1957، ص72-83.

[10]- م، ريستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، ج1، القاهرة ، 1957م

[11]- الناصري، سيد أحمد، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ،القاهرة ، 1975.

[12]- _____، الإغريق تاريخهم وحضارتهم ، ط2، القاهرة، 1977 .

[13]- نسيم، جوزيف، العصور الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م.

[14]- هـ.أ.ل.فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة ،السيد الباز العريني، ج1 ، ط6، دار المعارف ، القاهرة، 1976 .

ثانياً-المراجع الأجنبية:

[1]- Chadwick,H, the Early Church,London ,1967.

[2]- Davi,R.H.C, Europefrom Constantine to Saint Louis,London,1968.
[3]- Hussey, The Byzantine World,London, 1967.
[4]- Gibbon,E The decline and Fll of the Roman Empire,(penguin books) N.D.
[5]- 5-Katz,S, The Desline of Rome and the Rise of Medieval Europe,New york,1955.
[6]- Lot f, (The End of the Ancient World and the Biginng of the Middle ages ,London,1966 .
[7]- Oman,C.W, The Byzantine Empire,London,1914 .
[8]- Ostrogorski, A Hist.of the Byzantine State,Oxford, 1956.
[9]- Rice, Byzantium ,1969.
[10]-Vasiliev.A.A, History of the Byzantin Empire,324-1953.I.Midson,1961.
[11]-Vryonis,Byzantium and Euorpe ,London ,1967.
[12]-W.Ensslin,the Reforms of Dicoletion(in Cambridge Ancint History) Voll11 13-William,G.Sinnigen,A history of Rome,London,1937.

ثالثاً-الرسائل العلمية :

[1]- الغفري، أشرف رفيق محمود، أثر الحضارتين الفارسية والبيزنطية على الترتيبات الإدارية في عهد عمر بن الخطاب ، (13-23هـ/634-643م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب،الجامعة الإسلامية ،غزة ،2015.

[2]- الفيتوري عبد العالي علي، الإمبراطور قسطنطين والمسيحية (306-337م)، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة المرقب، ترهونة ، 2008.

الدوريات:

[1]- عبيد، اسحق، قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع؟، المجلة التاريخية المصرية، مج17، 1970.